Al-Mukhtar Journal of Social Science 43 (1): 203-219, 2025
Doi: https://doi.org/10.54172/qfzdvy53

Research Article

Open Access

شخصيّة (الولي الصالح، والساحر) العجائبيّة في روايات أحمد الفقيه

أريج محمد طيّب خطاب[1]*، سليمان خالد صالح جادالله[2]*

الباحث الاول[1]*: قسم اللغة العربية، جامعة عمر المختار، ليبيا

الباحث الثاني[2]*: قسم اللغة العربية، جامعة بنغازي، الابيار، ليبيا.

المستخلص: تتناول هذه الدراسة دور الشخصيات العجائبية في بناء الأحداث الروائية لدى الأديب الفقيه، وكيف ساهم حضورها في إثراء البنية الحكائية، مع البحث في مرجعيات هذه الشخصيات. تبرز أهمية البحث في كونه قراءة جديدة لأعمال الفقيه، مسلطاً الضوء على العالم العجائبي الذي يمثل تيمة فنية بارزة في أدبه لم تنل حقها من البحث المعمق. كما يربط البحث أدب الفقيه بالتراث العربي والمحلي، مما يسهم في إحياء جوانب من هذا التراث. تُظهر الدراسة ترابط هذه الشخصيات؛ فالجن يرتبط بالساحر كخادم له، وبعض الجن المسلم يعين الولي الصالح. تتصل هذه الشخصيات أيضاً بالشخصية الممسوخة، فالجن بمسخه يحول البشر لحيوانات، بينما يعيد الولي الصالح الممسوخ لصورته الطبيعية. كما ترتبط الشخصيات العجائبية بالحيوانات، حيث تُطلب بعض الحيوانات كقرابين للسحرة أو لطرد الأرواح الشريرة. شكل الفقيه من هذه الشخصيات مادة عجائبية أثارت القلق والحيرة، ونقلت القارئ من المألوف إلى الخارق.

الكلمات المفتاحية: الفقيه، العجائبي، شخصية الولي الصالح، شخصية الساحر.

[1]***Corresponding author:**
Arej Mohammed Khattab,
Arej.khattab@omu.edu.ly
Department of Arabic Language, Omar Al-Mukhtar University, Libya

[2]***Second Author:**
Suleiman Khaled Jad Allah,
Sulayman.jadullah@uob.edu.ly
Department of Arabic Language, Faculty of Arts and Sciences, University of Benghazi, Al-Abyar

Received:
15/06/2025

Accepted:
18/06/2025

Published online:
30/06/2025

The Role of Marvelous Characters in Al-Faqih's Novels

Abstract: This study explores the role of marvelous characters in shaping the narrative events in the works of the author Al-Faqih, and how their presence enriched the narrative structure, while also investigating their origins. The research's significance stems from offering a fresh perspective on Al-Faqih's literary output, highlighting the marvelous world—a prominent artistic theme in his literature that has not received sufficient in-depth study. Furthermore, this research connects Al-Faqih's work to Arab and local heritage, contributing to the revival of aspects of this tradition. The study reveals the interconnectedness of these characters: jinn are linked to sorcerers as their servants, and some Muslim jinn aid righteous saints. These characters are also connected to transformed beings, as jinn, by means of sorcerers, often transform humans into animals, while righteous saints restore the transformed to their original forms. Marvelous characters are also associated with animals; certain animals are sought as offerings for sorcerers or to expel evil spirits. Al-Faqih masterfully utilized these characters to create a marvelous narrative that evokes anxiety and confusion, transporting the reader from the familiar to the extraordinary.

Keywords: Al-Faqih, Marvelous, Righteous Saint Character, Sorcerer Character.

The Author(s) 2024. This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) , which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium ,provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

المقدّمة:

إنّ المتأمل في أدب أحمد إبراهيم الفقيه الروائي ليلمح– إلى جانب غزارة ذلك الأدب– شيئين متلازمين فرضًا حضورهُما على مجمل نصوصِه الروائيّةِ، أوّلهما غَلَبَة الحضور الصوفيّ معيارًا لتفسير الكون والحياة، والآخر ارتداد الكاتب إلى الموروث السرديّ العربيّ يستلهم منه مادة حكائية يضمّنها نصوصَه الروائيّة، وهو حضورٌ وارتدادٌ يصل إلى حدّ الانغماس، ولكنّه انغماس واعٍ، تتحكّم فيه قوّة الخيال المبدع الخلّاق الذي يجوب ذلك الحضور، ويمتاح من ذلك الموروث متحرّرًا من قيود التقليدِ، ومُخضِعًا النصّ الرّوائي لمتطلّباته الخاصّة، وما يرسمه له من حدود.

يحسُن القول– تأسيسًا على ما سبق– إنّ نصوص الفقيه الروائيّة أشبه بالسبائك الإبداعيّة، التي تُصهر فيها تلك المتلازمات، لتتفتّق عن عوالم عجائبيّة، ترتبط غالبًا بالمقدّس الذي ينطلق منه الكاتب في رحاب لا حدود لها، تتجاوز المألوف إلى الخارق والعجائبي، وتثير الدهشة، والاستغراب، والإعجاب معًا، وتستحقّ لفَرَادتِها أن توصف بأنّها ابتكارٌ فنّي يتجاوز حدود المعتاد في الأدب الروائي؛ لأنّها أولًا تُحَلّق بالقارئ في عوالم الخيال، الذي يمكن أن يكون واقعًا؛ لأنّه يستند إلى الضّامن الدّيني، الذي يُؤمّنه التّراث الصوفيّ، وثانيًا يتكئ إلى التراث السردي العربي، الذي يمزج التاريخ بالمتخيّل.

استند الفقيه إلى مرجعيّاتٍ مختلفةٍ لعلّ من أهمها المرجعيّة الصوفية في بناء شخصيّاته العجائبيّة، من هذه الشخصيّات العجائبيّة المحضة شخصيّة الولي الصالح، وشخصيّة الساحر وما ينبثق عنهما من شخصيّاتٍ عجائبيّة محضة كـ شخصيّة الجن وأهل الخفاء، والحيوانات، والممسوخات.

- **المبحث الأوّل: الشخصية العجائبية:**

الشخصيّة في المحكي العجائبي هي: "القطب الذي منه ينطلق الحدث فوق الطبيعي، وعليه يقع، أي أنّها إحدى المكونات الأساسيّة في تحديد الفانتاستيك من خلال المميزات الخلافيّة، والمتجليّة في الأوصاف والسلوك النسبي والمادي والأفعال المتجسدة من الحركات والأقوال"[1].

فحضور العجائبي في النص "مرتبط بتنوع الشخصيات والأفعال المحدثة"[2]، وتزداد أهميّة الشخصيّة في الأدب العجائبي؛ لأنه يطالها التردّد والحيرة، وهو شرط أساسي من شروط العجائبي، وفقًا لتودوروف، يُضاف لذلك أنّ الشخصيّة هي التي تُساعد على إعطاء الحدث بُعدًا عجائبيًّا.

والبنيات الكبرى للشخصيات في "روايات الفقيه" يمكن أن تُقسّم إلى ثلاثة أقسام، وسيكون التفصيل في القسم الثالث منها؛ لأنّه مدار الحديث عن العجائبي، وتلك الأقسام هي: الشخصيات المرجعيّة، والشخصيات التخييلية، والشخصيات العجائبيّة.

1- الشخصيّات المرجعيّة:

يُقصد بها الشخصيّات التي لها وجود تاريخي خارج النّص، وهي كما يصفها يقطين "قابلة للإدراك"[3]، مثل شخصيّة " عبدالسلام الأسمر" ، فقد ورد ذكره عندما استنجد به "عثمان الحبشي"، عند محاولة قطع رأسه من أحد جنود الحبشة، فاستغاث مناديًا "يا سيدي عبد السلام، يا سيدي عبد السلام، يا سيدي عبد السلام"[4]، ولها وجود واقعي خارج النّص، فهو الولي الذي دُفن بمدينة زليطن غرب ليبيا، ومن الشخصيّات التي أوردها أيضًا والتي كانت في حقبة تاريخية سابقة، شخصيّة " الملك الصالح إدريس السنوسي" ، وليس شرطًا أن يكون ما ورد من أحداث هنا قد وقع بالفعل من هذه الشخصيّة، والذي ناله التشويه والتحريف فعلا في الرواية[5]، إنما هي أحداث تخيّلها السارد حول هذه الشخصيّة؛ لغايات وأهداف جهويّةً غالبًا، أو غيره من الشخصيات المرجعيّة، مثل: " بشير السعداوي" ، و " المارشال بالبو"، في خرائط الروح.

2- الشخصيّات التخييليّة:

هذا النّوع من الشخصيّات على العكس من الشخصيّات المرجعيّة؛ إذ لا وجود لها في الواقع، ولو فتّشنا عنها خارج النّص فلن نجدها، وإنّما هي من اختراع السارد "الفقيه"؛ حتى يتسنّى له أن ينسب لها ما لا ينسبه للشخصيّات المرجعيّة، وهذا النّوع قد يُساعد الراوي على "الاختراع والابتكار"[6]، أو قد تكون واقعيّة لكنّنا لا نجد لها اسمًا تاريخيًا لها، ومن هذه الشخصيّات في خرائط الروح والثلاثية وغيرها، شخصيّة "عثمان الحبشي" ورفاقه "نعمان وفتحي"، وشخصيّة "الراعي المبروك"، و"عامر اليتيم" و"خليل الإمام"، و"ثُريّا"، ووالدها الإسكافي "الحاج المهدي" وغيرهم.

3- الشخصيّات العجائبيّة:

هذا النّوع المعوّل في عجائبيّتها على القارئ، فعليه أن يعدّها شخصيّات حقيقيّة، كما يقول تودوروف[7]، وهي شخصيّات مفارقة للواقع، وغير قابلة للإدراك[8]، "وإنما ترجع في الغالب إلى ما هو ثقافي معرفي"[9].

فالشخصيّة العجائبيّة "بشر أولًا، وقد تكون عبارة عن حي أو لا، ذات وجود حقيقي، فوق الطبيعي، أو مجرّد استيهامات"[10].

وقد حصر تودوروف حيرة العجائبي في الأحداث العجائبيّة التي تقع لها أو لغيرها أو تقع منها، في حين حصرها فاليري في الشخصيّة نفسها؛ إذ قال: "إن الحيرة تؤخذ عادة على هيكل الشخصيّات ودرجة تواجدهم الحقيقة، بدلا من طبيعة الأحداث"[11]. وهذا ليس صوابًا في كلّ الأحوال، فالحدث العجائبي له ارتباط وثيق بالشخصيّة حتى لو لم تكن شخصيّة عجائبيّة، فيمنحها ذلك بُعدًا عجائبيًّا، وهذا ما يؤكده سعيد يقطين[12].

فالشخصيّة العجائبيّة ترتبط بالحدث العجائبي نفسه، وقد أثبت مرتاض ذلك إذ جمع بين الشخصيّة والحدث، مؤكدًا أنّ عجائبيّة الشخصيّة مرتبط بالحدث العجائبي، ولا ينفك عنها، ويمنحها عنصر التعجيب، وإن وجد من الشخصيّات ما تقوم عجائبيّتها على هيكلها كالجنّ، والأشباح، ونحوهما.[13]

وفي روايات (الفقيه) شخصيّات لا تتمتع بصفة عجائبيّة، لكنها اكتسبت عجائبيّتها من خلقها أحداثًا عجيبة غير مألوفة، ويجمع كل هذه الشخصيات، سواء العجائبيّة المحضة أو ذات الأفعال العجيبة: "أنّها تولد طاقة تخييليّة تفسح المجال أمام القارئ؛ كي يندهش ويتلبّس بالتردّد والحيرة إزاء غرابة التكوين، أو الأفعال غير العاديّة".[14]

وعلى هذا، فلو نظرنا إلى الشخصيّة من حدثها العجائبي لأصبح لدينا خليط من الشخصيّات المرجعيّة والتخييليّة والعجائبيّة، فالعجائبي يظهر من "شخصيّة عجائبيّة محضة أو عاديّة تؤسّس لأفعال عجيبة"[15].

وقد حصر سعيد يقطين الشخصيّات العجائبيّة المحضة في "الجنّ، والساحر، والولي، والممسوخات"[16].

- **المبحث الثاني: تجلّيات الشخصيات العجائبيّة في روايات الفقيه:**

من خلال استقراء روايات "الفقيه" نجد أنّ الشخصيّات العجائبيّة، يمكن حصرها فيما ذكر "يقطين" من شخصيّات، إضافةً إلى الشخصيّات "الحيوانيّة"، والتي ظهرت منها أفعال عجائبيّة، وكلّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بشخصيتين عجائبيّتين رئيستين وهما (الولي الصالح، والساحر) وما يتوّلد من أفعال هذه الشخصيّات العجائيبيّة المحضة من شخصيّاتٍ، كانت هاتان الشخصيتان سببا في إضفاء العجائبيّة على تلك الشخصيّات.

1- شخصيّة الوليّ:

قال تعالى:

﴿ ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾.[17]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال:

{إنّ الله قال: من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يُبصر به، ويده التي يبطش بها، ورِجله التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطيّنه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه، وما تردّدت عن شيء أنا فاعله تردّدي عن نفس المؤمن، وأنا أكره مساءته}.[18]

الأولياء هم طائفة من عباد الله وعدهم الأمن في الدنيا والآخرة، ووصفهم كما في الحديث القدسي بأنّهم أهل طاعة، وقربات جعلت الله يُحبّهم، ويخصّهم بكرامات، وخوارق تجري على أيديهم لكنّها ليست شرطًا لا يكون الوليُّ وليًّا إلا بتحقّقها، فقد يكون المؤمن وليًّا لله ولا تجري على يديه خوارق العادات، كما قد يكون العبد عاصيًا لربّه وتجري على يديه الخوارق.[19]

يُشكّل الولي والولاية وما يتصل بهما من طقوس عالمًا عجائبيًّا محضًا، أولج في عالم الحقيقة؛ لأنّ الأولياء قادرون على منح بركاتهم وهم أحياء، كما يظلّون قادرين على التصرّف والتأثير حتى بعد وفاتهم، كما ستوضحه الدراسة في روايات الفقيه.

ومن خصائص هذه الشخصيّة العجائبيّة معرفة الغيب، وطيّ الأرض والظهور في المنام للإخبار بشيء ما، أو مخاطبة شخص ما، فإذا كان الساحر يستعين بثقافته السحريّة، وخدّامه من الجنّ – بكفره غالبا– في القيام بالأعمال المستحيلة، فإنّ الوليّ يستعين بما وصل إليه نتيجة العبادة والزُهد من عناية ربانيّة.

الشخصيّات العجائبيّة المتمثلة في (الولي)، من أكثر الشخصيّات العجائبيّة تجليًّا في روايات (الفقيه)، فهي التي تُبنى عليها أغلب أحداث الرواية، تجلّت هذه الشخصيّات في الأولياء من أهل الكرامات، وممن كُشفت عنهم الحُجب، وهم الأحياء الذين يستطيعون رؤية أهل الخفاء والحديث معهم، وتتحقّق لهم المعجزات والخوارق مثل: (الفقيه ميلاد، والشيخ الجالي، والشيخ البلبال، والشيخ صاحب الحمامة، والشيخ جلال الدّين، وياقوت الشاعر، وشيخه، وسيدي رجب بوحويش)، ومنهم الأولياء الأموات الذين أقام النّاس على قبورهم أضرحة، القادرون على طيّ الزمان، ومحادثة النّاس حقيقة، وفي مناماتهم، ونقل الرسائل بين عالم الموتى، والأحياء، منهم : (الصادق أبو الخيرات، وسيدي الصائم، وسيدي عيسى، وسيدي الصهبي، وأبي العروش).

وممّا وقع على يد (الشيخ البلبال) من العجائب[20]، من اطّلاعه على الغيب، ما أخبر به عائلة (الحاج المهدي)، الذين تنبأ لهم بالحصول على منزل جديد، بقوله: إنهم سيدخلون عتبة جديدة، وسيحصلون على دكّان جديد، وستتغير حياتهم إلى ما هو أفضل، تحققّت نبوءته فعلا، كما تحدّث (الشيخ البلبال) عن أنّه هو الذي يقرر الثواب، والعقاب الدنيوي وعلى الله الإجابة.

كما أنّ الشيخ البلبال كان يطّلع على الغيب، فقد طلب من أهل الحاج المهدي صحنا وبيضة، فردّت الوالدة بأنّه لا وجود للبيض في المنزل، فأمرها البلبال بأن ترسل ابنتها إلى المطبخ لتحضِر البيض، وهو متأكد من وجوده، فعادت ثريّا مندهشةً تحمل طبقا من البيض.

يُفاجئ (الفقيه) القارئ في كثير من الأحيان بكرامات تجري على أيدي أبطاله، تُشبه كرامات الأولياء الصالحين، حيث حظي البطل (خليل الإمام) برعاية خاصّة من الوليّ الصالح الشيخ (الصادق أبو الخيرات) جعلته قادرًا على توقّع ما سيحدث له في المستقبل، أو مخاطبة والده في عالم الموتى،[21] يقول خليل: إنّ الشيخ الصادق هو من دلّه وأوصله إلى هذا المكان والزمان، ...فحرّرني من سطوة الزمان والمكان،.... ثمّ أطلقني لأخترق مسيرة مئات الأعوام وأجتاز كهوف الجنّ وثعابين النار وأوكار الطيور الجارحة...".[22]

وتتحقّق كرامات الأولياء في روايات الفقيه بصور متعدّدة، فهي إمّا أن تكون مباشرة من خلال دعاء الوليّ الصالح، أو ببركة مقامه، أو تكون غير مُباشرة كأن تكون في صورة حُلم أو رؤيا صادقةٍ، وفي كل الأحوال فأولياء الفقيه يستمدّون كراماتهم من التُراث الصوفي الذي يُقدّم الوليّ الصالح شخصيّة ذات خوارق تتجاوز المكان، والزمان، فقد كُشفت له

حُجُب الغيب، ما جعله قادرًا على نقل النّاس إلى عوالم الغيب[23]، أو إنقاذهم من الموت[24]، حيث استغاث البطل بـ (عبد السلام الأسمر)، بل هو يعلم ما يدور في خلد النّاس، ويقدر على التنبّؤ بما سيحدث لهم في المستقبل.[25]

فالوليّ الصالح عند (الفقيه) طبيبٌ روحيٌّ، يقصده النّاس حيّا ليتبرّكوا بدعائه لهم، أو ميّتًا ليتبرّكوا بمقامه[26]، فبدعاء الوليّ الصالح تحلّ البركة، وتحدث المعجزة، حتى أنّ الزروع تنبت من جديد بعد حصادها[27]، والوليّ الصالح هو المُنقذ الذي ينقذ القافلة من الهلاك في الصحراء، فيهديها بكراماته إلى نبع الماء[28]، وهو المخلّص الذي يرفع عن النّاس كربة التّيه في الصحراء بلا مكانٍ، ولا وطنٍ، فتنزل هوامُّ الأرض، ووحوشها عند طلبه، وتخلّي له المكان؛ ليتّخذه سكنًا، ووطنًا[29]، والوليُّ هو الحامي الذي يذبّ ببركاته عن أهلّ قريته، فإذا رفعها عنهم نُكبوا بكلّ ما يسوؤهم، وهو المنتقم إذا غضب حلّ سخطه، وغضبه، ومقته، ولعنته على من خالفه، فلا رادّ لعقوبته إلّا بأمره، وعفوه.[30]

2- شخصيّة الساحر:

تؤكّد المصادر الدينيّة قِدم السحر، وأنّه بعيد الغور في تاريخ البشريّة، والدليل على قِدم معرفة النّاس بالسحر ما خلّفته الأمم الغابرة من رسومات، وكتابات، وتصاوير، وأساطير، وُجِدت في بقايا آثار الحضارات السابقة،[31] وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تصف الأمم الغابرة مع رسلهم، ووصفهم لهم بالسحرة.

قال تعالى:

﴿كذلك ما أتى الّذين من قبلهم من رسول إلّا قالو ساحرٌ أو مجنونٌ ﴾.[32]

يُعرّف السحر بأنّه: "علوم بكيفيّة استعدادات تَقْتَدرُ بها النفوس البشريّة على التأثير في عالم العناصر، إمّا بغير مُعين، أو بمُعينٍ من الأمور السماويّة، والأول هو السحر، والثاني هو الطلسمات".[33]

فالساحر شخصيّة عجائبيّة يتميّز بقدرات هائلة، فائقة عن القدرات التي يتميّز بها الإنسان العادي، فهو يستطيع أن يعرف ما جرى وما سيجري، بواسطة الجنّ الذي يعمل خادما للساحر، وقد وردَ الساحر بعدّة تسميات في روايات الفقيه، منها (الكاهن، والعرّاف)؛ في دلالة الإخبار عن الغيب، كما أنّها تتماهى مع المأثور الشعبي الذي لا يُفرّق بين الساحر والعرّاف.

والسّاحر يشبه الولي في القدرات، إلا أنّ قدرات الوليّ هي كرامة من الله تعالى، وأنّ الوليّ ينفع الله به العباد، عكس الساحر "ويعدّ السحر لدى السّاحر شبيه بالكرامة لدى الولي ذلك أنّ الساحر البارع هو القادر على تغير الجو، وتبديل الأشياء... وواضح أن السحر من المظاهر الاعتقاديّة التي اعترفت بها الأديان وعايشَتها حتى أضحى من العسير إنكار هذه الظاهرة...".[34]

فشخصيّة الساحر أو الكاهن وما يحدث منها من عجائبي، كانت حاضرةً في روايات الفقيه، لعلّ شخصيّة الساحر

(باكوندا أو بوكندا)[35]*، كانت من الشخصيّات الرئيسيّة التي قامت عليها الأحداث في الحبشة، وجرت على يديه أحداث عجائبيّةً خارقةً، التّي من خلالها استطاع الفقيه أن يوظّفها توظيفًا عجائبيًّا، خرق به القوانين المألوفة.

وممّا جرى على يد الساحر (بوكندا) من العجائبي، أنّه يرى ما خلف الغابات، ويفهم لغة الحيوان، ونبوءته بأنّ الحملة الإيطالية في الحبشة ستبدأ غدا قبل صدور الأوامر من القيادة العسكرية، حيث تأكدت نبوءته في اليوم التالي عندما أصدرت القيادة الأوامر بذلك.

"لأن الساحر بوكندا، الذي يستطيع أن يتنبأ بالحوادث الخطيرة ويرى ما خلف الغابات والجبال، ويعرف لغة الطير، ويسمع ما يقوله الناس على بعد ألف ميل، قد قرّر أن تبدأ الحملة غدا."[36]

وفي اللقاء الذي جمعه بالصحفي الإيطالي (سيرجي) تحدّث الساحر نفسه عن علمه للغيب، واطّلاعه على ما سيحدث فقد رأى أن الجيش الإيطالي سيحتلّ أديس أبابا، وأن الامبراطور سيفرّ؛ وأنّ ما رآه هو السبب الذي جعله ينحاز إلى الجانب الذي سيفوز بهذه المعركة التي يعلم ويرى نتائجها، ويرى ما ستؤول إليه الأحداث حقيقةً، وأنه يتواصل مع أسلافه الأموات ويراهم ويرونه حقيقةً ويخاطبهم ويخاطبونه، ويشكو إليهم، ويسمع منهم التوجيهات والنصائح، وأنهم هم حلقة الوصل بينه وبين الكون.[37]

ومن عجائبية شخصيّة الساحر (بوكندا) أنّه ورث عن أسلافه خنجرًا يزيد عمره عن ألف عام، يحمل أنفاس كل من سبقوه، وأنّ ضوء الشمس عند انعكاسه على الخنجر يُظهر مشهدًا حقيقيًّا لأحداث لم تقع بعد.[38]

وما يؤكد رؤية (بوكندا) للمستقبل ما بعثه رفيق عثمان من طرابلس إلى أرض الحبشة (أنور) الذي بعث رسالة إلى عمته (حليمة) يصف لها ما حدث لهم في أرض الحبشة، وبالأخص العاصمة التي جاءت الأحداث فيها مطابقةً لما وصفها بها الساحر (بوكندا) قبل حدوثها بفترة من الزمن.[39]

وتصدق نبوءة الساحر (باكوندا) مرةً أخرى إذ أخبر (عثمان) عن اليوم الذي ستتفجر فيه أحداثا مؤسفة، التي ستكون من أسوء الأيام في تاريخ الحبشة، ففي نفس اليوم تم استهداف الحاكم العام المارشال الإيطالي (جرسياني) بتفجير قنبلة لاغتياله التي نجا منها، بينما أدّى إلى مقتل عدد من الضبّاط والحرّاس.

كما تحققت نبوءته أيضا عندما أخبر (عثمان) بأنّه رأى (موسيليني) مقتولًا ومجرورًا من قدميه بالحبال على أيدي أبناء شعبه.[40] "إذن فقد وقعت الوقعة، وصدقت نبوءة العراف، بشكلها الفاجع".[41]

وتتجلّى الشخصيّة العجائبيّة في الساحر المغربي (مولاي الصافي)، الذي جاء به الشيخ القطعي؛ ليفتح الكنوز المدفونة، بما يملكه من سطوة على ملوك الجنّ،[42] كما تتجلّى في العرّاف الذي هو أحد أعضاء مجلس أعيان قرية

(باراكا) الذي استقبل (عثمان) عند قدومه إلى باراكا، حين أخبره عثمان بأنّ الوقت قد لا يُسعف أهل القرية لإقامة وليمة العشاء في الخارج؛ لأنّ السماء ملبّدة بالغيوم وقد تمطر، فأخبره الشيخ بأنها لم تمطر وسيكون الجو جميلا هادئًا هذه الليلة، متأكدّا مما يقول، "... تبددت السحب وعاد الجو إلى صحوه وبهائه مؤكدا نبوءة العرّاف".[43]

من خلال استقرّاء روايات الفقيه يُستنتج أنّ الساحر يبقى شخصيّة عجائبيّة حقيقيّة، فما تقع من أحداث ليست وهما أو هذيان أو معتقدًا شعبيًّا، حتى تخرج من دائرة العجائبي، بل تبقى هذه الشخصيّة في مكمن العجائبي، وتثير التردّد والحيرة، فما قامت من أحداث عجائبيّة على يد الساحر (باكوندا) كالنبوءات التي تسبق الأحداث بأشهر، ووصف كل ما يحدث بدقّةٍ، وتواصله مع من مات من أسلافه قبل قرون، وتصوير المشهد عن طريق خنجره و كأنّه (فيديو) لما سيحدث تمامًا في المستقبل، وغيره من شخصيّات السحرة، التي تقوم بمسخ الناس إلى حيوانات وغيرها، كما حدث مع حمامة (الشيخ أبو حمامة)، فالسحر هنا خرج عن المتعارف عليه في المخيّلة الشعبيّة، وأتى بما لا يقوى عليه الساحر الذي نعرفه في الواقع، فكانت بحقٍّ شخصيّة عجائبيّة.

كما يُستنتج باستقراء وتتبّع شخصيّة الساحر العجائبيّة في النماذج المختارة، أنّها تستخدم شخصيّة من الشخصيّات العجائبيّة، وهي شخصيّة الجنّ، وتتحكّم بها في أغلب الأحيان، وأنّ الساحر قد يستخدمها لأذيّة النّاس، فيأتي الولي الصالح –الشخصيّة العجائبيّة الأولى– مدافعًا عن النّاس، ومنقذا لهم مما يتلبّسهم من الجنّ، بأمر الساحر، أو ممسوخة من الساحر فيردّها الولي بكراماته، وأوراده، وأدعيته إلى أصلها البشري.

- **المبحث الثالث: الشخصيّات العجائبيّة وعلاقتها بـــ (الولي الصالح، والساحر):**

1- شخصيّة الجنّ وأهل الخفاء:

الجنّ كائنات لا مرئية، فالجنّ في اللغة يُعرف أنّه الستر، كما ورد في لسان العرب، فجنّ الشيء ستره، وكل شيء ستر عنك فقد جنّ، وقد سمي الجانّ جانًّا لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار، وعلى الرغم من اختفائها إلا أنّها موجودة، في القرآن الكريم والسنّة المطهّرة، فقد سُميّت سورة باسم (الجنّ)، وذكرهم الله في (سورة الأحقاف)[44].

فالجنّ لها : "قدرات خارقة عجيبة لا يمكن تصوّرها حتى في المخيال"[45]، فالمجال فيها واسع وخصب؛ مما يساعد المخيّلة في رسم معالمها وصنع عجائبيّتها، فـ "لا شيء بعد الجِنّة والعفاريت ألصق وأدلّ بالعجائبيّة وأدلّ عليها"[46] منها.

من شخصيّات الجنّ وأهل الخفاء العجائبيّة في روايات (الفقيه)، امرأة أثيريّة أحبّها وعشقها (ياقوت الشاعر)، كما أخبرت بذلك (بدور) بأنّ (ياقوت الشاعر) يعيش في أودية الجنّ، وأنّه عاشق لامرأة أثيريّة لا تتجسد في صورتها الكاملة إلا له، ملكته فلا يستلهم الشعر إلا عند رؤيتها، كما أنّ (ياقوت) يرى رجالًا أسطوريين من أهل الخفاء لا يظهرون إلا له ولأهل الكرامات.[47]

ومن الشخصيّات العجائبيّة التي هي من أهل الخفاء، شخصيّة المُغنّية (بدور)، التي وقع (خليل) في حبها، وبات يتردد على كوخ يلتقيان فيه؛ غير أنّه تردّد على ذلك الكوخ عدّة مرّات فلم يجد لها أثرًا، فسأل عنها جارتهم فتعجّبت من سؤاله عن امرأة لم يرها، كما سأل عنها (النوتي الشيخ)، الذي أيضًا أنكر رؤيتها، وأخبره بأنّ هناك بشر لا يظهرون إلا أمام أصحاب الأسرار من أمثالك.[48]

فكان (خليل) يسمع صوتها ولا يراها، لا تتجسد له في صورتها، إلا عندّما يحقق أعلى مراتب التواصل الروحي، فكان يكتفي بسماع صوتها تُغنّي في أماكن، وأوقات مختلفة دون أن تتجسّد أمامه.[49]

ومن نماذج الشخصيّات العجائبيّة التي تنطوي تحت شخصيّة الجنّ، هو ذلك (العفريت) الذي خرج يشهر سيفًا لينتقم لابنه الذي قتله التاجر برميه نواة تمرة.[50]

كما تتجلّى الشخصيّة العجائبيّة للجنّ أيضًا في صورة الإنسان الخارق، الذي يتحرّر من سطوة قوانين الطبيعة، مثل ما حدث لحارس القنصليّة حيث كان يسمع أصوات نواح النساء، وبكاء الأطفال من الأشباح "كما رأى في أكثر من ليلة شبح امرأة تخرج من البيت وتعود إليه، مخترقة الجدران والأبواب المغلقة،...."،[51] كما ظهر لعثمان (سالم) زوج (ثريّا) بعد وفاته، مبتسمًا مرتديًا ثيابًا من الحرير، ملوّحًا لأصدقائه، يصعد على مدارج من نورٍ إلى أعالي السماء، تحفّه كائنات جميلة لها ملامح وأجسام البشر، وأجنحة ملوّنة كريش الطاووس.[52]

ومن الشخصيات الجنّ العجائبيّة أنّ أحد رجال القبيلة متزوج من جنيّة مسلمة، كان يسمعها هو نفسه تقرأ القرآن إلا أنه لم يكن يراها، كما أنه أكل من طعام كانت تقوم بتحضيره وتضعه أمامه وأمام زوجه، فيرى القصعة وهي قادمة دون أن يرى من يحملها، وكانت تطلب من زوجها أن يكتري لها زنجيا يعزف المقرونة أمام الخيمة كل مساء لتخرج وترقص لزوجها على أنغام المقرونة دون أن يرى جسمها إلا هو.[53]

كما تتجلّى الشخصيّة العجائبيّة من الجن في شخصيّة الإنسيّ مثل "شمهروش"، عندما أخبرت المرأة المغربية (عثمان)، أنّ رجلا من الجنّ اسمه (شمهروش)، جاء يطرق بابها ليخطبها من أخيها، مستفيدًا من علاقة أخيها بأهل العوالم الخفيّة المجهولة، فرفض أخوها بحجّة أنها منذورة لرجل من الإنس، فلم يفرض الجنّ نفسه عليها أو يؤذيها – حينها–؛ لعلمه بسطوة أخيها على أهل الخفاء وقدرته على مصارعة أهل الجنّ وقهرهم،[54] وشخصيّة ملك الجانّ الذي التقاه عثمان والمرابط المغربي، فاشتكيا له ممّا فعله (شمهروش) بأخته.[55]

فالجنّ من الشخصيّات العجائبيّة المحضة كما قال (يقطين)، فمن خلال استقراء روايات الفقيه، نجد أنّه ذكر الجنّ في شخصيات جماعيّة، في عدّة مواقع في رواية (هكذا غنّت الجنيّات) التي بدأت من العنوان، وذكره قرية (مسكونة) التي يسكنها الجنّ، و(كرات الجنّ)، و(نجوع الجنّ)، و(جنّي يعاقب امرأة)، وقبيلة (الجن جاويد)، وما لتسميتهم من

ارتباط بالجن، ومدينة (قرزة) التي سميّت بمدينة الجنّ؛ لحراسة الجنّ لها، ولكنوزها تحت الأرض وغيرها، كما تبيّن أنّ شخصيات الجنّ تتمظهر في عدّة صور، منها الإنس ،ومنها الحيوان، ومنها الحجر، لعلّ "الفقيه جمع كل هذه الشخصيّات العجائبيّة التي يتجلّى في هيأتها الجنّ في جزء من روايته، وهو ما أخبر به (المبروك) (عثمان) أنّه كثير ما سمع إنشادًا له معنى، يُذكر فيه اسم الله، ويعرف على وجه اليقين أنّ أهل الجنّ يحبون المقرونة، وكان أثناء عزفه إذا رأى ظبيًا، أو وعلًا من وعول الصحراء لا يجفل منه إنما يقترب، فهو يعتقد أنّ أغلب هذه الكائنات إنّما تنتمي إلى أهل الجنّ، تجسدّت لنا في هذه المخلوقات المألوفة لكي لا تخيفنا، فهو يرى الجنّ أحيانا على شكل عصفور، أو قط برّي، أو أرنب، أو غراب، أما أكثر الأشكال التي يقول إنّ الجنّ يحبون استعارة أشكالها فهي نوع من ثعابين الصحراء الكبيرة ذات اللون الأخضر، وهو ما يعتقده أغلب أهل القبيلة، حيث لا يفعل الواحد منهم شيئًا عدائيًّا ضده، ولا يخاف منه.[56]

ومن خلال استقراء شخصيّة الجنّ العجائبيّة في النماذج المختارة، يتبيّن أنّ شخصية الجنّ من خلال الأحداث العجائبيّة، ترتبط ارتباطًا وثيقًا بشخصيّةٍ عجائبيّةٍ أخرى، وهي السّاحر الذي يستخدم الجنّ لاستخراج الكنوز وغيرها.

2- الشخصيّات الممسوخة:

وهي إحدى الشخصيّات العجائبيّة المحضّة، فهي "كائنات ناتجة عن تركيب أكثر من جنس"[57]، كما يُمكن أن يدخل في هذه الكائنات، الكائنات العملاقة باعتبارها كائنات ممسوخة أيضًا، المسخ في اللغة كما عرّفه " ابن منظور" بأنّه هو: " التحوّل من صورة إلى صورة أقبح منها، وقلب الخِلقة من أصلها إلى شيء آخر"[58]، فهي تدخل في إطار العجائبي، من خلال ما تؤسسه هذه الشخصيّات من أفعالٍ عجيبةٍ، غير مألوفة ينتج من خلالها التعجّب والدهشة والتردّد لدى المتلقي.

تتجلّى الشخصيّة العجائبيّة الممسوخة، والعجيبة في روايات الفقيه في تلك المخلوقات التي رءاها في الصحراء، وهم (بشر من دخان)، وريش الطائر الذي تحوّل إلى عدد كبير من الطيور السوداء، التي تغطّي سقف غرفته، ثمّ يرى كائنات من (بشر لهم شفافيّة الماء)، فهي كائنات عجيبة غير مألوفة، تخلق الدهشة لدى المتلقي.[59]

كما تتجلّى الشخصيّة العجائبيّة الممسوخة، في الممسوخات التي مُسخت من بشر إلى حيوانات، كـ (الحمامة) التي مُسِخت بفعل ساحرٍ من امرأة إلى حمامة، والتي بفضل كرامات الشيخ (أبوحمامة) نطقت الشهادتين، ورجعت امرأة ذات حُسن وجمال وتزوّجها[60]، كما يذكر شخصيّات بشريّة مُسخت إلى حيوانات (غزالةً، أو حمارًا، أو كلبًا) بسبب ما[61]، وشخصيّة فتاة تُسمّى (سارة)، التي تعرّضت لحادثة اغتصاب فتحولت روحها إلى (قطة) [62]، والثعبان العملاق في حجم التنّين، الذي وجده عثمان في قريّة باراكا، الذي هو عبارة عن روح رجل صالح من الأسلاف تجسّدت روحه على شكل ثعبان، ومنها الكثير من الثعابين التي تحرس أهل هذه القرية ويحمونها[63].

ومن الشخصيّات العجائبيّة الممسوخة، التي تتركّب من أكثر من جنس في جسد واحد، شخصيّة الغانية التي تُغوي الرجال، فيكتشفون أنّ لها ساقا وحافرا حمارٍ،[64] ومنها ما رءاه عثمان من تحوّل المارشال بالبو في صورة طائر كبير له ريش ومخالب طيور ووجه إنسان، وفي صورةٍ أخرى يصير له قرنان تزيّن عنقه النياشين العسكريّة، أو فيلا له خرطوم في شكل بندقيّته، أو رجلا يرتدي بذلة مارشال له رأس ثعبان يبرز من فمه نابان أزرقان.[65]

ومن الشخصيّات الممسوخة التي شاهدها (عثمان) في رحلته مع المرابط المغربي (مولاي الصافي)، كانت لها رؤوس البشر، وأجسام الحيوانات، أو الطيور، أو الأشجار، وحرّاس قصر ملك الجانّ، ولهم رؤوس الرجال، وأجساد الثيران، ومضيفة التشريفات التي كانت قطّة تموء وهي تقودهم إلى لقاء ملك الجانّ[66] .

الفقيه استطاع من خلال استحضار الشخصيّات الممسوخة، وتوظيفها لخدمة العجائبي لما تثير من دهشة واستغراب وتردّد في نفس المتلقّي؛ ولما لها من عجائبية تخترق قوانين الطبيعة، وتحوّلها إلى غير المألوف، هذه الممسوخات التي مُسخت غالبًا بفعل الساحر الشخصيّة العجائبيّة الثانية، فعلاقتها بها علاقة سببيّة.

3- **شخصيّة الحيوان:**

يذكر النقّاد أنّ القصّ على لسان الحيوان "جنس أدبي ذائع في آداب العالم تُعزى فيه الأفعال، والأقوال إلى الحيوانات، قناعًا يشفّ عمّا وراءه، ورمزًا يومئ إلى المرموز"[67]، وقد شكّل القص على لسان الحيوان رافدا من الروافد التي قام الفقيه بتوظيفها في إنتاجه الإبداعي، واستطاع من خلال توظيفها إلى صناعة شخصيّات، تتولّد من خلال أفعالها العجائبيّة لدى المتلقّي، ومنها:

(الحرباء) التي أطلق عليها اسم (الشيخة شريفة)، فالحرباء في الرواية كائن له حرمته الخاصّة، وتُنسب إليها الكثير من الكرامات، فبسبب إقامتها الدائمة على شجرة الأثل، صارت نساء القافلة يتبرّكن بتلك الشجرة، ويطلقن عليها اسم (الشيخة شريفة)، ولم تكن الحرباء محلّ إعجاب ، وإكبار نساء القافلة وحسب، بل كانت موضع احترام وتقدير من قِبل جميع قاطني جندوبة من غير البشر ايضًا؛ لذلك عندما نزلت عن شجرة الأثل، واتّجهت نحو الهضبة صعودًا تاركةً خلفها الوادي، أثار ذلك استغراب جميع الحيوانات، فتركت الوادي، ولحقت بالحرباء يسوقها الفضول لمعرفة ما حدا بالحرباء التي عُرفت بشفافيتها، وقدراتها الروحيّة، وبصيرتها النافذة إلى ترك الشجرة وهجر الوادي، وهنا وقفت الحرباء تجيبهم عمّا حيّر عقولهم، بأنّ ساعة الخلاص من البشر قد دنت، وأنّ هاتفًا دعاها لترك الوادي، وأخذ معه سنابل الشعير التي سرقها البشر من جحور الجرابيع.[68]

كما تتجلّى الشخصيّة العجائبيّة في شخصية حيوان، كشخصيّة الثور (غرزيل)، والذي قام بأفعال عجيبةٍ، وأسطوريّةٍ خارقةٍ.[69]

فالحرباء عند الفقيه (ولي صالح)، فالوليّ الصالح عند الفقيه لم يقتصر على البشر فقط، إنّما تجاوز إلى الحيوانات، فالحرباء أو (الشيخة شريفة) لها قدرات روحيّة عجائبيّة خارقة، وأنّ من كرامتها أن "يُوحى إليها" بأن يأتيها هاتف يدعوها إلى ترك الوادي... فما وقع من هذه الشخصيّة يخلق التردّد والذهول لدى المتلقّي، فلا يجد تفسيرًا لهذا الأمر العجائبي الخارق للمألوف.

- **المبحث الرابع: مرجعيّة الشخصيات العجائبيّة عند الفقيه:**

من خلال استقراء الشخصيّات العجائبيّة، وتتبّعها عند الفقيه، يتضّح جليًّا أنّ الفقيه قد وظّف عددًا من الشخصيّات العجيبة التي تنتمي إلى مرجعيّات متنوعة، لكنّها تشترك في عدم انتمائها للواقع، ويمكن تصنيف تلك الشخصيّات العجيبة من خلال مرجعيّاتها على النحو التالي:

1- شخصيات عجائبيّة ذات مرجعيّات دينية:

تتمثّل الشخصيّات العجائبيّة ذوات المرجعيّات الدينيّة في روايات الفقيه فيما يلي:

أ- الأولياء الصالحون:

يصدر الفقيه في توظيفه للأولياء عن شعور ديني كان سائدًا في اغلب البلاد الإسلامية، تمثّل في الاعتقاد المبالغ فيه في كرامات الأولياء، وقدراتهم الخارقة سواءً كانوا أحياءً، أو أمواتًا، وهي كرامات تتفوّق – في بعض الأحيان – على معجزات الأنبياء أنفسهم[70]، وهو شعور رسّخه ما اشتهر به كثير من الأولياء من زهد، وتقوى، وورع، وصلاح، وعزلة، والتبتّل في أماكن نائيّة، وعززته الأميّة، والجهل اللذان كانا سائدين، بسبب حقب الاستعمار المتعاقبة، حيث كان الاعتقاد السائد عند عوام النّاس أنّ هؤلاء الأولياء لهم القدرة على النّفع والضرّ، فالوليّ في القريّة، أو البلدة التي يعيش فيها، أو يقع فيها ضريحه، هو الواسطة بين النّاس وربّهم، وهو صاحب الشفاعة، والمنقذ لهم في الدنيا والآخرة، فبركاته دواء أمراضهم، وفرج كرباتهم، وبتوسّلاته تمطر السماء إذا أمحلت، وتنجب النساء إذا عقمت.

ب- شخصيّة الخضر عليه السلام:

وردت شخصية الخضر –عليه السلام– في سورة الكهف، الآيات (60–82)، كما جاءت القصّة مفصّلة في الحديث الذي أخرجه الإمامان في صحيحيهما[71].

يُلاحظ أنّ الفقيه – في توظيفه شخصيّة الخضر عليه السلام– يقول بما قال به كثيرٌ من أهل العلم بأنّ الخضر نبيّ[72]، لكنّه ينسب له – في الوقت ذاته – ما ينسبه غلاة الصوفيّة لأوليائهم من قدرةٍ على فعل الخوارق والمعجزات، فقد استنبط (خليل الإمام) في الثلاثية أنّ الشيخ الذي يتحدّث عنه (ياقوت الشاعر)، والذي لم يستطع معه صبرًا؛ لأنّه لم يمتثل لأمره له بأن ينتزع العسل من سمّ الثعبان، ويأكله، فتردّد في فعل ذلك ما أغضب شيخه الذي تركه، ليس سوى الخضر عليه السلام؛ لذلك صار هو الآخر في شوق إلى لقائه.[73]

كما أنّ أسلوب الحوار الذي جرى بين (الإمام)، وبين (ياقوت) يلتقي مع النصّ القرآني الذي ختم به موسى قصتّه مع الخضر عليه السلام في سورة الكهف، وذلك في قول ياقوت الشاعر "لم أستطع معه صبرًا"..[74]

2- شخصيّات عجائبية ذات مرجعيّات ثقافية شعبيّة وتاريخية:

تتمثّل الشخصيّات العجائبيّة ذوات المرجعيّات التاريخيّة في روايات الفقيه فيما يلي:

1- شخصيّة "الشيخ أبو حمامة":

الشيخ الّذي أورده الفقيه في روايته، والذي كان أحد أجداده وليًّا صالحًا هو من أسّس مدينة مزدة، يورد الحكاية كما هي في (فئران بلا جحور)؛ لأهميّتها في إثبات توظيف الكاتب لهذا النوع من الحدث، يقول الراوي: "كان ذلك الجدّ القديم زاهدا متعبدًّا، ترك أهله في بلدة قنطراره بجبل نفوسه، ونفض يده من حاجات الدنيا، وسار ضاربًا في البراري يبحث عن بقعة نائية لا يصلها أحد، يتفرّغ فيها للتهجّد والعبادة".[75]

2- شخصيّة "بدور":

المغنيّة في الثلاثية، والتي هي من الشخصيّات العجائبيّة عند الفقيه، فهي تتماثل تماثلًا كاملًا، ومباشرًا مع شخصيّة (بدور بنت الجوهري) في حكايات (ألف ليلة وليلة)، ففي حكاية (بدور مع جبير بن عمير الشيباني) تظهر (بدور) المغنية ذات الحسن، والجمال وسط جواريها يوم عيد النيروز، فيتعلّق قلب (الأمير جبير) بها، ويُبتلى بداء الصبابة الذي لا يشفيه إلا وصالها[76]، كذلك جرى لقاء الأمير (خليل الإمام) مع (بدور) المغنيّة في إحدى الحفلات التي تُقيمها مدينة عقد المرجان كلّ مساء، حيث تعلّق قلبه بها[77]، كذلك تتناصّ معها في الجمال، والصفات، واللباس، وعذوبة صوتها الغنائي، و تمكنّها في العزف.

3- شخصية الجنّ:

التي هي من الشخصيّات التي تتمثّل مرجعيتها في حكايات الجن وشخصياته في حكايات (ألف ليلة وليلة)، حيث يستلهم الفقيه صور الجنّ في الليالي، ويقدّمها بالكيفيّة ذاتها، فمثلما تنوّعت صور الجنّ في الليالي، تنوّعت صورهم أيضًا في روايات الفقيه، فإذا كان الجنّي يظهر في صورة العبد المطيع لرغبات البشر الذين يتحكّمون فيه بواسطة أداة سحريّة، تجعلهم قادرين على استدعائه متى شاءوا، كما في (حكاية صلاح الدين والمصباح السحري)، أو حكاية (معروف الإسكافي)، فإنّ الجنّ في روايات الفقيه يخضعون لسلطة الأولياء الصالحين، فالشيخ (أبو الخيرات) في الثلاثية يتحكّم في الجنّ الّذين نفّذوا أمره بإنقاذ (خليل الإمام)، ومساعدته على ارتداء ملابسه عند فراره من مدينة عقد المرجان[78]، والشيخ القادم من (كانو) في (خرائط الروح) كان قادرًا على التحكّم في الجنّ الذين نزلوا عند أمره لهم بإخلاء الديرة له، ولمن معه من قبيلة المقاطيع،[79] كما أنّ الجنّ يتزوجون نساء الجن، كما في قصة (حسن الصائغ المصري)، كذلك

البشر يتزوجون الجنيّات في روايات الفقيه مثل ما رُويَ لعثمان عن أنّ أحد أفراد قبيلة المقاطيع متزوّج من جنّية مسلمة، أو تلك المصاهرة التي حصلت بين سكان دارفور والجنّ، فأنتجت نسل " الجن جاويد" الأشدّاء[80].

- **الخاتمة وأهم النتائج:**

تتبّعت هذه الدراسة عجائبيّة الشخصيّات عند الروائي الليبي أحمد إبراهيم الفقيه في نماذج مُختارة، والتي تتكون من ثمان عشرة رواية، وبعد دراسةٍ تحليليّة؛ واستقراءٍ مستفيضٍ، كوّنت الدراسة تصورًا خاصًا حول تجليّات الشخصيّات العجائبيّة، وخلُصَت إلى جملة من النتائج يمكن حصرها في النقاط الآتية:

1- السرد العجائبيّ من أبرز ملامح السرد عند الفقيه، ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ السرد العجائبي أوسع بابًا، وأنّ المجال أوسع فيه لإطلاق العنان للخيال بعيدًا عن أي قيود أو ثوابت طبيعيّة.

2- من خلال توظيف الفقيه لـ (شخصيتي الولي الصالح والساحر) العجائبيّتين، نجد أنّ الحدث العجائبيّ الغيبي المرتبط بعلم الغيب والموتى هو أكثر الأحداث تجليًّا في النماذج المختارة، إذ أنّ الحدث العجائبيّ الخارق غالبًا ما يكون منبثقًا عن حدثٍ غيبي مرتبط بالأولياء.

3- تنوعّت الأماكن التي عاشت فيها الشخصيّات العجائبيّة، بين أماكن لها وجود حقيقي، كالصحراء الليبيّة، وغابات الحبشة، والقرى، والمدن، وبين أماكن غير حقيقيّة ربّما استقاها الروائي من التراث، كمدينة عقد المرجان، هذا التنوّع يمنح المتلقّي الشعور بالإيمان بصدقيّة الشخصيّات وما جرى من أحداث عجائبيّة بسببها، ويوهم المتلقي بواقعيّتها.

4- بتنوّع الشخصيّات العجائبيّة تتنوع الأحداث العجائبية في روايات الفقيه، وتختلف تبعا لمصادرها المنبثقة عنها، وهي في النهاية تصبّ في المفارق للعقل؛ فهي تمثّل العجائبي بشروطه، فالفقيه يُقدّم أحداثا خارقة بشخصيّات عجائبيّة؛ مما تزيد في العُجب والحيرة لدى المتلقي، فما يتلقاه من أحداث من تلك الشخصيّات لا تتفق مع واقعه المألوف الذي يعرفه، بل تتجاوز الواقعي والخيالي، فتنقلنا من الواقع إلى عوالم الجنّ والسحر والحلم، وهذا المزج واللقاء بين المألوف وغير المألوف، وبين الطبيعي وغير الطبيعي هو الذي يتنامى معه العجائبي.

5- تنوعّت الشخصيات العجائبيّة وأجناسها عند الفقيه، حيث تمثّلت في الأولياء، والسحرة، والكهّان، والجنّ، والممسوخات، والحيوانات، كما تنوّعت مرجعيّاتها، الدينيّة (الصوفيّة)، والتراثيّة (ألف ليلية وليلة)، والأسطوريّة.

6- السرد العجائبيّ عند الفقيه مُثقل بالرموز والدلالات والإيحاءات؛ ولعلّ ذلك يعود إلى مرجعيّته الأولى التي ينهل منها وهي (المرجعيّة الصوفيّة)، التي من خصائصها الإيغال في الإيحاء والرمزيّة.

7- أنّ السرد العجائبيّ لا يطرح نفسه أداة للعبث وانعدام الفكرة، أو حتّى أداة للتسليّة السلبيّة والمفرغة من أي فائدة، بل هو أدب مثقل بقضيّته وواقعه، وتحتلّ القضايا السياسيّة والدينيّة والاجتماعيّة مكانةً في هذا الأدب.

- **الهوامش:**

[1] مفهوم الشخصيّة الروائيّة والأنثروبولوجيّة في "مائة عام من العزلة"، لـ " غابريل غارسيا ماركيز"، غيبوب بايه، مجلة التبيين، ع2009،33م.

[2] هويّة العلامات في العتبات وبناء التأويل، شعيب حليفي، المجلس الأعلى للثقافة/ القاهرة، 2004، ص198.

[3] قال الراوي، البنيات الحكائية في السيرة الشعبيّة، سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى،1997م، ص93.

[4] ينظر: خرائط الروح، (خبز المدينة)، أحمد إبراهيم الفقيه، دار الخيال للطباعة والنشر والتوزيع – لبنان، الطبعة الأولى2008ف، ص18–19.

[5] ينظر: نفسه، (العودة إلى مدن الرمل)، ص34–35/ ص50–51

[6] قال الراوي، ص97.

[7] مدخل إلى الأدب العجائبي، تودوروف، ترجمة: الصدّيق بو علام، مقدمة: محمد برّادة، دار الكلام – الرباط، الطبعة الأولى، 1993م.، ص49.

[8] قال الراوي، ص93.

[9] الخبر في السرد العربي الثوابت والمتغيّرات، سعيد جبار، شركة النشر والتوزيع،2004، ص198.

[10] نقلا عن: العجائبيّة في أدب الرحلات (رحلة ابن فضلان نموذجا)، الخامسة علاوي، رسالة ماجستير، جامعة منتوري– قسنطينة، كليّة الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة، الجزائر، 2005م ص113.

[11] نفسه.

[12] ينظر: قال الراوي، ص93.

[13] ينظر: العجائبيّة في رواية ليلة القدر للطاهر بن جلّون، عبد الملك مرتاض، مقال، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول – المغرب، العدد4، 1994، ص26.

[14] شعريّة الرواية الفانتاستيكية، د. شعيب حليفي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى،2009م، ص173.

[15] بنيات العجائبي في الرواية العربيّة، ص116

[16] ينظر: قال الراوي، ص99–102.

[17] سورة يونس، الآية62.

[18] الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلّم وسننه وأيّامه، كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم 6502، ج 8، ص105.

[19] ينظر: المعجزة وكرامات الأولياء، ص13، كما ينظر في السياق ذاته كتاب (إلى التصوّف يا عباد الله فإنّ المؤمن لا يُلدغ من جحر مرّتين)، أبوبكر الجزائري، منشورات دار البصيرة، الإسكندريّة، 1404هـ، ص89.

[20] ينظر: الخرائط: عارية تركض الروح، ص129–135

[21] ينظر: الثلاثية: هذه تخوم مملكتي، أحمد إبراهيم الفقيه، رياض الريّس للكتب والنشر، لندن– قبرص، الطبعة الأولى1991م، ص18–20.

[22] الثلاثية: هذه تخوم مملكتي، ص39.

[23] ينظر: نفسه، ص 21–25.

[24] ينظر: خبز المدينة، ص16.

[25] ينظر: الثلاثية (هذه تخوم مملكتي)، ص20، وخرائط الروح (أفراح آثمة)، ص47، ص222.

[26] ينظر، الخرائط: (أفراح آثمة)، ص3–7.

[27] ينظر: فئران بلا جحور، ص37.

[28] ينظر، هكذا غنّت الجنيّات، ص244–245.

[29] ينظر: نفسه، ص217–218.

[30] ينظر: نفسه، ص23–24.

[31] ينظر: عالم السحر والشعوذة، عمر سليمان الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمّان، ط3، 1997م، ص13.

[32] سورة الذاريات، الآية 10.

[33] المقدّمة، ابن خلدون، تحقيق، عبد السلام الشدّادي، وزارة التربية والتعليم العالي، الدار البيضاء، ج3، ط2005،1، ص108.

[34] العجائبيّة في أدب الرحلات، ص113.

[35]*وردت في الروايات باللفظين.

[36] الخرائط، (زغاريد لأعراس الموت)، ص 126–127

[37] ينظر: نفسه، ص130–131

[38] ينظر: نفسه، ص133–135

[39]ينظر: ذئاب ترقص في الغابة، ص84.

[40] ينظر: العودة إلى مدن الرمل، ص248،147.

[41] ذئاب ترقص في الغابة، ص217.

[42] ينظر: هكذا غنّت الجنيّات، ص153–155.

[43] ينظر: ذئاب ترقص في الغابة، ص144–146.

[44] ينظر، لسان العرب، مادة (جنن)، لمعرفة المزيد عن عالم الجنّ يمكن الرجوع لكتاب الأمالي لأبي علي القالي، والحيوان للجاحظ، أو الرجوع لرشيد يزول في الجن والسحر في المنظور الإسلامي، وقد نُسجت حولها قصص من المخيلة العربيّة فيها من العجائب والغرائب ما يمكن الاطّلاع عليها في كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات للقزويني وغيرها.

[45] سحر العجائبي في رواية (وراء السراب قليلًا لإبراهيم درغوثي)، نجاح منصوري، مجلة الخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، الجزائر، ع8، 2012م، ص157.

[46] العجائبيّة في رواية ليلة القدر، ص124.

[47] ينظر: هذه تخوم مملكتي، ص127،126.

[48] ينظر: نفسه، ص136–137.

[49] ينظر: نفسه، ص143.

[50] ينظر: نفسه، ص14.

[51] خرائط الروح، عارية تركض الروح ص21–22

[52] ينظر: زغاريد لأعراس الموت، ص120،119.

[53] ينظر: هكذا غنّت الجنيّات، ص62

[54] ينظر: نفسه، ص139.

[55] ينظر: نفسه، ص160–161.

[56] ينظر: الخرائط (هكذا غنّت الجنيّات)، ص86.

[57] قال الراوي، ص102.

[58] لسان العرب، مادة مسخ.

[59] ينظر: هذه تخوم مملكتي، ص7–8.

[60] ينظر: فئران بلا جحور، أحمد إبراهيم الفقيه، دار الهلال، 1421هـ ، 2000م،ص93.

[61] ينظر: هذه تخوم مملكتي، ص14.

[62] ينظر: عارية تركض الروح، ص23–24.

[63] يُنظر: ذئاب ترقص في الغابة، ص154–155.

[64] ينظر: أفراح آثمة، ص7.

[65] ينظر: نفسه، ص219–280.

[66] ينظر: هكذا غنّت الجنيّات، ص160.

[67] (القصة على لسان الحيوان: كتاب النمر والثعلب لسهل هارون أنموذجًا)، قحطان صالح الفلّاح، مجلّة التراث العربي، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، ع 86،87، أغسطس 2002، السنة الثانية والعشرون، ص254.

[68] ينظر: فئران بلا جحور، ص245.

[69] هكذا غنّت الجنيّات، ص107–108.

[70] ينظر: (أولياء وكرامات النقد المبرم لرسالة الشرف المحتّم للحافظ السيوطي: نقد وتحليل)، أبي الفضل عبد الله بن محمّد بن الصدّيق الغماري الحسني الإدريسي، مكتبة القاهرة، ط1، 1998م، حيث أورد المؤلّف نماذجًا لكرامات وخوارق منسوبة لبعض الأولياء منهم (البدوي، والدسوقي، والشعراني، والسيدة نفيسة)، وغيرهم الكثير، ممّا لا يجيزه الشرع، ولا يقبله العقل، وغيرها من الكتب التي تذكر خوارق وكرامات جعلت الأولياء يضاهون الأنبياء ويفوقونهم مثل كتاب (الأنوار المنسيّة المنسوب لعبد السلام الأسمر).

[71] ينظر: الجامع الصحيح المختصر، كتاب العلم، حديث 2380، ج 4، ص1847–1853.

[72] ينظر: الثلاثيّة، (هذه تخوم مملكتي)، ص105.

[73] نفسه، ص104.

[74] نفسه.

[75] فئران بلا جحور، ص93،94.

[76] ينظر: ألف ليلة وليلة (حكاية بدور مع جبير بن عمير)، م2، ص235–241.

[77] ينظر: الثلاثية، (هذه تخوم مملكتي)، ص68–69.

[78] ينظر: نفسه، ص158.

[79] ينظر: خرائط الروح، (هكذا غنّت الجنيّات)، ص217–218.

[80] ينظر: نفسه ص62، ص88.